

## محاضرة :تصنيف المدن

اعتاد الجغرافيون تصنيف الظاهرة Classification phenomenon التي يدرسونها لتسهيل فهمها وإدراكها باعتبار التصنيف إحدى الوسائل التي يمكن بواسطتها تنظيم كثير من الحقائق والمعلومات حول الظاهرة ،وبالتالي جمع العناصر المتشابهة ضمن وحدات تختلف عن الوحدات الأخرى .وبالنظر لتعدد المدن واختلافها في البنية والشكل والحجم والوظائف والتوزيع ،أصبح من الضروري تصنيفها لكي تسهل دراستها وبشكل يسير . ولكي يصنف الجغرافيون المدن اتبعوا في ذلك الكثير من الأسس والمعايير نذكر منها :

### 1- التصنيف التاريخي Historical Classification

أي تصنيف المدن حسب أصولها التاريخية أو المراحل التاريخية التي مرت بها وإبرز سماتها المعمارية، ولعل أبسط تقسيم في هذا المجال ما يقسم المدن حسب الفئات الآتية :أ- مدن ما قبل التاريخ ب- المدن الإغريقية والرومانية ت- مدن العصور الوسطى ث- مدن النهضة والباروك ج- المدن الصناعية الحديثة.

وتضم الفئة الأخيرة بمفردها في الوقت الحاضر 175 مدينة مليونية ،وعددا كبيرا من الإشكال المستحدثة بدءا من الضاحية وحتى المجمع الحضري أو الميغالوبوليس<sup>(34)</sup>.

وقد حلل كل من هوستن في كتابه الجغرافية الاجتماعية لأوروبا وجريفيت تايلور في كتابه الجغرافية الحضرية أعمار المدن من منظور طبيعي ،فيما حدد هوسكو ثلاث مراحل للنمو تنطبق على معظم المدن الأوروبية هي:

أ-مرحلة النواة المبكرة Nuclear stage وتتمثل اليوم في النواة المركزية للمدن الكبرى.

ب-مرحلة التشكيل أو التكوين The formative stage ويمثلها التوسع الذي شهدته المدن في القرن التاسع عشر في أعقاب الثورة الصناعية .

ج-المرحلة الحديثة The modern stage ويمثلها التوسع السريع لضواحي المدن في القرن العشرين وما تبعه في القرن الحادي والعشرين.

### 2-التصنيف المكاني : Spatial Classification

يقوم هذا التصنيف على أساس اختلاف الخصائص الطبيعية لمواقع المدن ،وبموجبه تصنف المدن كالآتي:

أ-مدن الأنهار Cities Rivers : وللمدن هنا ثلاثة مواقع فمنها ما يقع عند مصبات الأنهار مثل مدينة لندن عند مصب نهر التايمز وشنغهاي عند مصب نهر اليانكتسي ونيو اورليانز عند نهر الميسيسيبي. ومنها ما يقع عند ملاقي الأنهار مثل مدينة المقرن في السودان ،ونوع ثالث يقع عند مخاضة النهر حينما يضيق ويسهل عبوره مثل مدينة الجيزة في مصر.

ب-مدن الجبال Cities mountains : تأخذ المدن الجبلية أربعة مواقع لها ،عند التقاء الجهات الجبلية كما في خط المرتفعات في اسكتلندا ، وإقدام الجبال كما هو الحال على طول إقدام الكتل القديمة في جنوب ألمانيا من الراين حتى سيليزيا العليا . ومواقع في مقدمات الجبال كما في الجهات الشمالية لجبال الألب مثل مدن ليون وبرن وميونخ . وهناك مدن تهى لها مواقع داخل الجبال كمدينة شقلاوه على سطح جبل سفين وكويسنجق عند جبال هيبه سلطان شمال العراق.

ج-مدن السواحل Coast cities : وهذه المدن أما إن تقع على ساحل بحر أو ساحل نهر ،وغالبا ما يهيئ لها الساحل على أساس طبوغرافيته لان تصيح مدن موانئ بحرية أو نهريية ،وقسم

آخر يقع على بحيرة أو خليج، والامثلة على ذلك كثيرة منها البصرة وشيكاغو وجنيف وطرابلس ودرنة في ليبيا<sup>(35)</sup>.

د-مدن السهول The cities of the plains: تختار اغلب مدن العالم السهول الفيضية أو الساحلية موضعاً لها، كونها أفضل البيئات لقيام ونمو وتطور المدن، بفضل ما توفره من أراضٍ منبسطة لاستعمالات الأرض ومد طرق النقل عليها، فضلاً عن توفيرها الأراضي الصالحة للزراعة لإقليم المدينة الذي يمدّها بالمواد الغذائية، فمدن بغداد وباريس والقاهرة ولندن مثال لهذه المدن.

### 3-التصنيف البنوي Structural Classification

يعتمد هذا التصنيف على شكل المدينة أو بنيتها وتختلف المدن في ذلك حسب الخطة التي رسمت لها. وبذلك تبرز لنا الأنواع الآتية:

أ-المدن الشبكية ب- المدن الشعاعية ج- المدن المحتشدة د- المدن الطولية 2 ( التصنيف البنوي: يعتمد هذا التصنيف على أساس شكل المدينة (مورفولوجيتها) التي تحتلها المنطقة المعمورة فيها، والتي رسمت لها. وبناء على ذلك يمكن ملاحظة الأصناف التالية من المدن: - أ - المدن الشعاعية:

تتخذ المدينة التي تبنى وفق الخطة الشعاعية شكل حلقات متباينة حول نقطة مركزية ومن هذه النقطة تخرج طرق إشعاعية تضع في المنطقة المركزية شبكة مواصلات نجمية يسهل عن طريقها الوصول إلى جميع أطراف المدينة ( انظر رقم 33 ). ولما كان هذا الشكل يجعل الرؤية محدودة فقد اتجه الرأي إلى تحويل الأشكال السداسية الناجمة من تقاطع الشوارع الدائرية بالطرق الشعاعية إلى أشكال دائرية قدر الإمكان حتى يكون مجال الرؤية أوسع<sup>1</sup>.

ب - المدن المحتشدة:

تشغل المدينة وفق هذا التخطيط حيزاً صغيراً من الأرض بالمقارنة مع غيرها من المدن. وتضم الشوارع وفق هذه الخطة بشكل حلقات تحيط الواحدة بالأخرى. وتتخذ المدينة شكل اقرب إلى الشكل الدائري، بحيث يصبح مركز المدينة على مسافات متساوية تقريباً من النقاط التي على أطرافها وتتصف بهذه الخطط المدن العربية والشرقية القديمة التي تسود فيها الأزقة الضيقة والملتوية. وقد تنشأ بعضها بشكل عفوي وبدون تخطيط مسبق<sup>2</sup>.

ج - المدن الطولية:

تنشأ هذه المدن وتنمو بشكل طولي (او شريطي) ويكون نموها اما على طول نهر او على طول طريق مواصلات او تمتد على طول ساحل بحري كما هو الحال في الموانئ. وقد يحصل ان يكون نمو المدينة بشكل طولي لاسباب قاهرة تدفع بها ان تنمو على هذا الشكل، اذ قد يعيق امتدادها العرضي وجود ظاهرة طبوغرافية كما هو الحال في الجبال والهضبة فتجعل المدينة تمتد طولياً ويمكن ملاحظة ذلك في امتداد مدينتي دمشق في سوريا وريودي جانيرو في البرازيل ثم مدينة العقبة في الاردن.

د - المدينة الشبكية:

تتخذ المدينة وفق هذا التخطيط شكلاً شبكياً ويرجع ذلك الى تقسيم ارض المدينة الى اجزاء او اشكال هندسية مربعات او مستطيلات او اشكال رباعية وتوفر هذه البنية شكلاً بسيطاً وجميلاً يسهل عملية ترقيم المساكن والمؤسسات. مما يساعد على سرعة وسهولة توزيع الخدمات والتجهيزات. كما يسهل تخطيط ارض المدينة وطرق المواصلات فيها بدرجة دقيقة، ومسافة قصيرة، لكون الطرق المتباعدة توصل بين اقرب النقاط المرغوبة

3 ( التصنيف النوعي:

<sup>1</sup> د. عبد الفتاح وهيب، مصدر سابق، ص 143. 144

<sup>2</sup> د. عبد الرزاق عباس، مصدر سابق، ص 165. 166.

يرتبط هذا التصنيف باهمية موقع المدينة الجغرافي من ناحيته النسبية والطبيعية التي تنعكس على المدينة وتعطيها اهمية خاصة تؤثر على دورها واهميتها من خلال موضعها الذي تحتله ضمن اقليمها الواسع الذي يرتبط معها بعلاقات متعددة . وينبغي الاشارة الى ان العديد من البحوث لاتستعمله . اذ تنفرد بعضها فقط باستعماله و ابرازه<sup>3</sup> ونظرا للاهمية الخاصة التي تحتلها والتي تتصل بوظيفة المدينة الى حد كبير . ومن اهم انواع المدن وفق هذا التصنيف ما يلي :-

أ - العقدية :-

تكون المدينة ذات أهمية عقدية عندما تتركز خطوط الحيز الطبيعي بشدة . مما يهيئ المجال إلى قيام مركز إستراتيجي ذو أهمية واضحة لا يمكن للإنسان إلا إن يستثمره . ومثال ذلك ملاقي الانهار وتقاطع الوديان والممرات والفتحات في الجبال . وهذه المواقع تحتل عمق الزجاجة . وهذه هي عقدية طبيعية . كما توجد عقدية بشرية من صنع الانسان كالتى تنشأ عن التقاء الخطوط الحديدية والطرق البرية وطرق القوافل . ومن الامثلة على طرق القوافل . ومن الامثلة على المدن العقدية كل من بغداد والبصرة والقااهرة والخرطوم وشيكاغو وباريس وغيرها .

ب - البؤرية :-

تنشأ المدن البؤرية من صنع الانسان ، عندما يختار موضعا مهما في وسط سهول منبسطة ، وتتمتع تلك المدينة باهمية خاصة بحيث تتجمع عندها طرق المواصلات بمختلف انواعها . او قد تكون بؤرة لتلاقي طرق الملاحة كما هو الحال في الجزر وفي وسط البحار مثل جزر هاواي ، ومن امثلة المدن برلين وميلانو وموسكو وبيروت وغيرها ( انظر الشكل 43 ) وعندما تتوسط القطر او الاقليم يمكن ان ينطلق عليها ( المركزية ) كذلك مثل بغداد ومدريد .

ج - الهامشية :-

المدن الهامشية هي المدن التي تقع على هامش اقليم فعال او اطار نشاط بشري . وعلى الرغم من ان هذا الوضع يعني قلة اهمية تلك المدن وصغر حجمها . الى ان الدور الذي تقوم به كبير جدا . ومثال ذلك مدينة الرطبة على هامش الجزء الغربي من العراق ومدينة خانقين .

د - مدن المداخل :-

اذا ما احتلت المدن موضعا هامشيا ، لكنه في مكان مدخلي يمنحه اهمية في احتلال موقع بوابة الاقليم . وهذا ما يتمثل في الموانئ التي لها اهمية باعتبارها مدخلا الى المناطق التي تقع خلفها وقد يكون الدولة او اكبر مساحة منها او اقل مثال ذلك ميناء الاسكندرية في مصر والعقبة في الاردن وميناء عدن في اليمن الجنوبية . كما ان هذه الموضع يتمثل في مواقع البوابات التي هي عبارة من جبهات التحام الاقليم الاقتصادية المتباينة كمنطقة السهول او السهوب او مناطق الصحراء والمناطق الزراعية مثل مدينة الموصل في العراق التي تقع بين المنطقة السهلية والمتموجة ومدينة النجف بين المنطقة الصحراوية والمنطقة السهلية الزراعية .

#### 4 -التصنيف المرتبي Hierarchical classification

تصنف المدن هنا وفق عدة معايير منها على أساس الحجم (عدد السكان) أو على أساس مركزها الإداري أو على أساس وظائفها التي تقدمها . إلا إن الجغرافيون درجوا على تصنيف مدنهم على أساس الحجم باعتباره انسب المعايير وأوضحها . وعلى أساسه تأخذ المدن المراتب الآتية :

المرتبة الأولى : 5000 نسمة فأقل .

- المرتبة الثانية : 5001-10000 نسمة .
- المرتبة الثالثة : 10001-25000 نسمة .
- المرتبة الرابعة : 25001-100000 نسمة .
- المرتبة الخامسة : 100001- مليون نسمة .
- المرتبة السادسة : أكثر من مليون نسمة .

وهذه الرتب يمكن مقارنتها مع التصنيف الإداري للمدن العراقية إذ يظهر لدينا البلدة Town التي تقابل مركز الناحية، والمدينة City التي تقابل مركز القضاء، ومدينة كبيرة Big city والتي تقابل مركز المحافظة، ومدينة كبرى Metropolis التي تقابل العاصمة بغداد ومدينة كبرى متصلة Megiapolis التي تتميز بضخامتها السكانية والعمرانية مثل نيويورك وطوكيو ولندن وبيونس ايرس .

### 5-التصنيف الوظيفي Functional classification

يعد تصنيف المدن وظيفياً بحق تحدياً كبيراً للجغرافيين والمهتمين بشان المراكز الحضرية، لأنه لا توجد مدينة تختص بوظيفة محددة بل إن جميع مدن العالم هي متعددة الوظائف. ولكن بالإمكان تحديد الوظيفة الرئيسية أو الغالبة في المدينة. إلا إن الوظيفة الرئيسية هي الأخرى ليست ثابتة طالما إن المدن عرضة للتغيرات الاقتصادية والاجتماعية والحضارية. فكثير من مدن الصيد البريطانية في القرن التاسع عشر تحولت في الوقت الحاضر إلى مدن سياحية كما تحولت كثير من مدن الأسواق القديمة إلى مدن صناعية. والمدن القديمة ذات الصفة الدفاعية (الحربية) أو الدينية قد تغيرت بمرور الزمن بل وتدهورت بعد ذلك، في الوقت الذي تعاضمت فيه وظائف أخرى كانعكاس للتطور الاقتصادي الذي شهدته الحضارة البشرية . وعلى الرغم مما سبق فإنه يمكن وضع تصنيف عام لكثير من المدن على أساس الوظائف الرئيسية التي تمارسها معتمدين في ذلك على الطرق الإحصائية والرياضية في التصنيف وكالاتي :

- أ- مدن التعدين والمحاجر Cities mining and quarrying : مثل مدن استخراج الفحم وتعدين النحاس والذهب .
- ب- المدن الصناعية Industrial Cities : كالمدينة المتخصصة بصناعة الحديد والصلب والصناعات الهندسية .
- ت- مراكز النقل Transportation Centers : وهي متخصصة في الصناعات المرتبطة بالنقل مثل صناعة السفن والسيارات والطائرات والقطارات .
- ث- المدن التجارية Commercial cities : وتشمل الآتي :
  - 1- مدن الأسواق الزراعية مثل وينبيج وكنساس سيتي .
  - 2- مدن البنوك والمال مثل فرانكفورت وأمستردام .
  - 3- مدن داخلية كبرى ذات تركيب تجاري متنوع مثل مانشستر وسانت لويس .
  - 4- الموانئ التجارية الكبرى.

ج- المدن الإدارية Administrative cities وتشمل :

- 1- العواصم القومية القديمة The old national capitals مثل باريس ولندن والقاهرة والعواصم الحديثة مثل برازيليا وكنبره<sup>(36)</sup>.
- 2- العواصم الإقليمية Regional capitals في إطار اتحاد فيدرالي كواشنطن وموسكو سابقاً ومثلها عواصم المحافظات .

ج- المدن الإستراتيجية Strategic cities وتشمل :

- 1- مدن القلاع القديمة مثل ادنبره ودلهي وبكين .
- 2- قواعد بحرية للأسطول مثل برست وبورتسموث .
- 3- مدن الحاميات العسكرية Cities and military garrisons .

ح- المدن الثقافية Cultural cities وتشمل :

- 1- مدن الحج مثل مكة المكرمة والمدينة المنورة والقدس الشريف والنجف الاشرف وروما .
- 2- المراكز التعليمية غالبا ما تكون فيها جامعة مثل كمبردج ولوفان واوسبالا .
- 3- مراكز المؤتمرات مثل برايتون وشيكاغو .

خ- مدن الاستشفاء والترفيه cities hospitalization and recreation وتشمل :

- مدن المياه المعدنية مثل سبا وفيشي وحلوان وحمام العليل في الموصل .
- المجمعات البحرية .
- المنتجعات الجبلية .
- منتجعات داخلية أخرى .

د- مدن سكنية Residential cities ومنها :

- مدن المنامات وغالبا ما تكون في ضواحي المدن الكبرى .
- الضواحي مثل بيغرلي هلز قرب لوس انجلوس .